

The approach of linguists in directing the readings

-Ibn Khalawayh as a model-

Dr. Zeghad lazhar¹, Dr. Rabia Nabil², Fatih Khiouani³

^{1,2,3} University of Batna 1 Hadj Lakhdar (Algeria)

Received: 12/2022

Published: 12/2022

Abstract:

The Holy Qur'an is considered the greatest book influencing the whole of humanity. It is where the eyes are defined and the necks are formed, and delving into it is the ultimate honor. It is the word of God revealed in a clear Arabic tongue. From the beginning of its inception in the era of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, until the efforts of scholars culminated in Ibn Mujahid's book The Seven in Readings by Ibn Mujahid, in which he collected the readings of the seven reciters, the number of their narrations, the aspects of their reading of the words of the Qur'an, and the places where they differed, so that his students, Abu Ali Al-Farisi and Ibn Khalawayh, added another effort to his effort, which is directing The seven readings from the language side and their phonemic, morphological and grammatical levels Through the foregoing, this research aims to shed light on Ibn Khalawayh's approach to directing the seven readings through his book The argument in the seven readings. Under the title: The approach of linguists in directing readings - Ibn Khalawayh as a model.

Key words: Readings, Guidance, Ibn Khalawih, Argument.

منهج علماء اللغة في توجيه القراءات

- ابن خالويه نموذجا -

د. زغاد لزهرا¹، د. نبيل ربيع²، فاتح خيواني³

^{3,2,1} جامعة باتنة 1 الحاج لخضر (الجزائر)

الملخص:

إن القرآن الكريم يعد أعظم الكتب تأثيرا في البشرية جمعاء؛ فإليه تشخص الأبصار وتشرب الأعناق، والخوض فيه غاية التشريف؛ فهو كلام الله المنزل بلسان عربي مبين، ولعل أعظم مواضيع تدارسه هي جهة القراءات وتوجيهها، وتلقين النطق بألفاظه وتجويدها؛ لأنها عماد الصلاة، والصلاة مركب النجاة، ولما كانت القراءات على هذا القدر من الخطر والأهمية صارت محط اهتمام علماء الإسلام، من بداية نشأتها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توجت جهود العلماء فيها بكتاب "السبعة في القراءات لابن مجاهد"، الذي جمع فيه قراءات القراء السبعة، وعدد رواياتهم وبين أوجه قراءتهم لألفاظ القرآن، ومواضع اختلافهم، ليأتي بعده تلميذاه

أبو علي الفارسي، وابن خالويه، فزادا على جهده جهدا آخر؛ تميز بتعليل وتوجيه القراءات السبعة من جهة اللغة، وفق مستوياتها المعروفة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، وكان لكل واحد منهما منهاجا يناسب قصده وتوجهه، وقد كان أبو علي الفارسي أوفر حظا من ابن خالويه فقد لاقت مؤلفاته شهرة، ونال حظا من اهتمام الدارسين به ومؤلفاته ومنهجه وهذا ما لم يبلغه ابن خالويه، فما هو منهج علماء اللغة في توجيه القراءات؟، من خلال ما تقدم يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على منهج ابن خالويه في توجيه القراءات السبعة من خلال كتابه "الحجة

في القراءات السبع". تحت عنوان: "منهج علماء اللغة في توجيه القراءات_ابن خالويه نموذجًا"

الكلمات المفتاحية: القراءات، التوجيه، ابن خالويه، الحجة.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد.

إن أعظم ما تشرب إليه الأعناق وتشتاق إليه الأنفس غاية الاشتياق، هو القرآن الكريم أجل الكتب قدرا، وأعلاها سناء وذكرًا، وأعظمها وقرا وأجرا، المتعبد بتلاوته المتقرب إلى الله بدراسته، المحفوظ من كل جانب من الزلل والخطأ، فقد كفل الله حفظه للناس إلى يوم القيامة، إذ قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وقد سعى علماء الإسلام إلى حفظ القرآن الكريم من التحريف والتصحيف فكانت للقرآن الكريم الأولوية البالغة من اهتمامهم، وحاز على زبدة جهدهم، فحفظه الله على أيديهم خطأ بكتابة المصحف الإمام، وحفظه في صدورهم لفظا ونطقا على أيدي أئمة القراءة الأعلام، فاشتغل من جاء بعدهم ببيان صحة ما نقلوه وتعليل الوجه الذي اختاروه، وقد كان لكل مصر إمامه علا في ميدان القراءة شأنه، فظهرت القراءات القرآنية وسبعت إلى سبعة على يد ابن مجاهد ثم ظهر توجيهها، حيث كان لعلماء اللغة السابق في هذا الميدان، وترجمت جهودهم إلى مؤلفات قيمة، تحوي في طياتها تعليقات لغوية وتوجيهات نحوية تظهر صحة اختيار القراء وقد صارت هذه المؤلفات ميدانا خصبا للدراسات القرآنية؛ لأن بيان مناهجهم في تعليل القراءات، حيث تهدف هذه الورقة العلمية إلى الوقوف على "منهج علماء اللغة في توجيه القراءات -ابن خالويه نموذجًا- وقد تم تقسيمها إلى مطلبين جاء في الأول الترجمة لابن خالويه وبيان جهوده في مجال القراءات، وأما المطلب الثاني فكان لأجل بيان منهجه في توجيه القراءات لغويا من خلال كتابه: "الحجة في القراءات السبع" ثم ذيلنا البحث بخاتمة أوردنا فيها أهم النتائج وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستقرائي.

المطلب الأول: ترجمة ابن خالويه.

من لوازم هذا البحث ومسلّماته تعريف القارئ بابن خالويه هذا اللغوي الذي ذاع صيته في زمانه حتى جاور خليفة المسلمين حين ذاك، فجالسه ونادمه، وكان مؤدبا لبعض بنيه، لذا يهدف هذا المطلب إلى الوقوف على ترجمة ابن خالويه.

أولاً: اسمه ونسبه.

هو الحسين بن أحمد ابن خالويه بن حمدون النحوي واللغوي المشهور الملقب بذي النونين نزيل حلب وتلميذ أبي بكر بن مجاهد وابن الأنباري وابن دريد ونفطويه مات بجلب سنة سبعين وثلاثمئة للهجرة¹
ثانياً: شيوخه ومؤلفاته.

ابن خالويه كان رجلاً طلبة للعلم فقد اتصل منذ صغره بجملة علماء عصره فأخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد (ت 324 هـ) وأبي بكر محمد بن بشار الأنباري (ت 323 هـ)، وأخذ النحو واللغة عن محمد بن الحسن بن دريد (ت 321 هـ)²، وإبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه (ت 323 هـ)، وجالس محمد بن مخلد العطار الدوري (ت 331 هـ)، وأبا عمر الزاهد (ت 345 هـ)، وأبي سعيد السيرافي (ت 363 هـ).³ وقد حول ابن خالويه كل هذا التحصيل إلى مؤلفات نفع بها الأمة نذكر أشهرها على سبيل الإختصار لا الحصر منها: كتاب ليس في كلام العرب، كتاب أسماء الأسد، ذكر له خمسمائة اسم، كتاب البديع في القراءات، كتاب الجمل في النحو، شرح مقصورة ابن دريد، مختصر في شواذ القرآن، إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز، الحجة في القراءات السبع.⁽⁴⁾

من خلال النظر في مجمل مؤلفات ابن خالويه نلاحظ تأثره بشيخه ابن مجاهد لأن القراءات من جملة إهتماماته فله من المؤلفات فيها: البديع في القراءات، إعراب ثلاثين سورة، الحجة في القراءات السبع، وكلها مؤلفات تهتم بتوجيه القراءات، وتميزت هذه المؤلفات بمنهج لغوي في معالجتها كما سنبينه في المطلب التالي وذلك باختيار كتاب الحجة في القراءات السبع كنموذج.

المطلب الثاني: منهج ابن خالويه في توجيه القراءات القرآنية من خلال كتاب الحجة.

أولاً: التعريف بكتاب الحجة في القراءات السبع لابن خالويه.

كان كتاب الحجة في القراءات السبع ثمرة جهد كبير وعمل متواصل من ابن خالويه في خدمة كتاب الله تعالى والدراسات القرآنية وكان من أهم أسباب تأليفه بعد النهج الكبير لابن خالويه في التأليف هو المنافسة الشديدة بينه وبين زميله ومعاصره أبي علي الفارسي، فكلاهما أخذوا عن ابن مجاهد وجلسا إليه وقد ألف أبو علي الفارسي كتابه "الحجة للقراء السبعة" وهو كتاب في توجيه القراءات يحصي مواضع اختلاف القراء ويعلل أوجهها لكنه تميز بالتطويل والتفصيل والتعقيب والتفريع والبسط مما شغل الطلاب بالمسائل الفرعية عن لب الكتاب وأشكل على غيرهم، فكان تأليف كتاب آخر في نفس الموضوع أكثر اختصاراً وأبسط طرحاً وأقرب منالاً من

باب أولى فاضطر ابن خالويه كردة فعل على كتاب أبي علي الفارسي وبدافع المنافسة العلمية إلى تأليف كتاب "الحجة في القراءات السبع"، ليكون أكثر اختصاراً وأبعد عن التشعب والتفصيل وأسهل على الطلاب للضبط والتحصيل وقد التزم ابن خالويه بما ألزم به نفسه في مقدمته بقوله: "أنا بعون الله ذاكراً في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم، وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم، معتمد فيه على ذكر القراءة المشهورة، ومنكب عن الروايات الشاذة المنكورة، وقاصد قصد الإبانة في اقتصار، من غير إطالة ولا إكثار، محتذياً لمن تقدّم في مقالهم، مترجماً عن ألفاظهم واعتلاهم، جامعاً ذلك بلفظ بين جزل، ومقال واضح سهل؛ ليقرب على مريده، وليسهل على مستفيده، والله الموفق للسداد، والهادي إلى سبيل الرشاد، وهو حسبي وإليه معاد"⁽⁵⁾. فكان مجلداً واحداً صغيراً في حدود 354 صفحة، من تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، في عدة طبعات مصححة ومنقحة ومفهرسة ذات إخراج جميل من دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 1979م.

ثانياً منهج ابن خالويه في توجيه القراءات.

من خلال الاطلاع على كتاب الحجة لابن خالويه وبالنظر إلى محتواه نظرة دقيقة فاحصة نجد أن ابن خالويه قد ألزم نفسه الإختصار في توجيه القراءات والتزم به، بل وصرّح بذلك في مقدمة كتابه، إذ اعتمد على القراءات السبع المتفق على ثبوتها رواية، واكتفى بتعليقها دون غيرها من القراءات الأخرى وقد كان له منهج تميز بقوة اللفظ واختصار العبارة، ويمكن تفصيل القول في منهج ابن خالويه على النحو التالي.

- منهجية معالجة الآيات القرآنية من خلال الحجة.

بدأ ابن خالويه معالجة الآيات الخلافية بين القراء السبعة على ترتيب المصحف بداية من الفاتحة وانتهاء بسورة الناس حيث يخصي الخلاف فيها ويعلله ويبين حجة كل وجه من أوجه القراءة دون التعرّيج على أسماء القراء إلا فيما ندر حيث يذكر الآية محل الخلاف ثم يعقبها بتعدد أوجه القراءات وبعد ذلك يبين حجة كل وجه سواء كان التعليل صوتياً أم صرفياً أم نحوياً، وهو نفس منهج علماء توجيه القراءات كأبي علي الفارسي، وابن زنجلة، وأبي منصور الأزهري، ومكي بن أبي طالب، والسمين الحلبي، لكنه بشكل أكثر اختصاراً وأقل تفصيلاً، ومن خلال النظر في كتاب الحجة نجد أنه تناول المسائل الصوتية والصرفية والنحوية، لكنه تميز باختلاف طفيف بينه وبين علماء التوجيه الذين أسلفنا أسماءهم آنفاً كما سنمثل لذلك تالياً.

بالنظر في كتاب الحجّة ومقارنته مع كتاب "معاني القراءات للأزهري (370هـ)"⁶ و"الحجّة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي (377هـ)⁷ وكذا "حجّة القراءات لابن زنجلة (403هـ)"⁸، "الكشف" لمكي بن أبي طالب (437هـ)⁹ و"الدر المصون" للسمين الحلبي (756هـ)¹⁰، نجد أن منهج ابن خالويه يتميز بما يلي:

1- الإحاطة بجميع مواضع الخلاف بين القراء السبعة.

يتميز كتاب الحجّة بالإحاطة بمواضع الخلاف بين القراء السبعة والواردة في القرآن الكريم إذ عالج ابن خالويه جميع المواضع ابتداء من الفاتحة وانتهاء بسورة الناس فذكرها وعللها وبين أوجه اللغة فيها واستدل لها بما يرجحها من كلام العرب وأشعارهم بشكل مختصر دون إخلال.

2- الإختصار.

ما يميز كتاب الحجّة عن غيره من كتب توجيه القراءات، أنه جاء في شكل مختصر وذلك لأن ابن خالويه قصد إلى هذا المنهج رأساً، بل وذكره في مقدمة كتابه بقوله "وأنا بعون الله ذاك في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم معتمد فيه على ذكر القراءة المشهورة ومنكب عن الروايات الشاذة المنكورة وقاصد قصد الابانة في اقتصار من غير اطالة ولا اكثار محتذياً لمن تقدم في مقالهم مترجماً عن ألفاظهم واعتلاهم جامعا ذلك بلفظ بيّن جزل ومقال واضح سهل ليقرب على مريده وليسهل على مستفيده والله الموفق للسداد والهادي الى سبيل الرشاد وهو حسبي واليه معاد"¹¹ فلم يذكر ابن خالويه إلا أهم المهم فأسقط عزو القراءات إلى القراء السبعة، ونحى النقاشات الجانبية التي تشتت التفكير وتثقل المتن، بل استغنى عن الأدلة الأضعف في توجه أي قراءة، فاكتفى بأظهرها وأقواها، وإذا أردنا أن نبين مدى اختصاره في تعليل القراءات يمكن عقد مقارنة بينه وبين أبي علي الفارسي وذلك بذكر موضع واحد والأمثلة كثيرة، منها تعليقه لقوله تعالى: ﴿مُلْكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] حيث يقول ابن خالويه: "يقراً بإثبات الألف، وطرحها. فالحجّة لمن أثبتها: أن الملك داخل تحت المالك. والدليل له: قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُؤْتِي الْمَلِكَ مَن نَّشَاءُ وَنَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن نَّشَاءُ وَنُعِزُّ مَن نَّشَاءُ وَنُذِلُّ مَن نَّشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26] والحجّة لمن طرحها: أن الملك أخص من المالك وأمدح؛ لأنه قد يكون المالك غير ملك، ولا يكون الملك إلا مالكا"¹². هذا تعليل ابن خالويه للخلاف في القراءة فقد جمع زبدة الأقوال وأقواها ثم اختصرها في سطرين بل وعلل لها من القرآن الكريم بينما أبو علي الفارسي احتاج 42 صفحة كاملة لتعليل هذا الموضوع فقط فذكر الروايات الواردة فيها ومن قرأ بكل وجه من القراء السبعة ومن غيرهم وعلل بتعليلات ابن خالوية وزاد وطول وأعرب وفرع وبسط وهو تطويل يذهب بالدارس عن علة التوجيه بل حتى لا يستطيع تتبع استدراقات أبي علي الفارسي وتعليلاته فيذهب القصد مع ما في كتاب الحجّة لأبي علي الفارسي من فائدة ولطائف لاغنى لطالب العلم عنها.

3- الإقتصار على القراءات السبع.

بتتبع القراءات المذكورة في كتاب الحجة ومواقع اختلاف القراء فيها وعزوها إلى السبعة القراء نجدها جميعا قراءات سبعية مشهورة ثابتة الرواية؛ لأن ابن خالويه اقتصر عليها بقوله: " معتمد فيه على ذكر القراءة المشهورة ومنكب عن الروايات الشاذة المنكورة"¹³ ونقصد بالقراءات المشهورة هنا أنه حين يذكر أوجه الخلاف في الآية يذكر أوجه قراءة اللفظ الثابتة في القراءات السبعية دون غيرها من الأوجه أما عزو الوجه إلى صاحبه من القراء السبعة فلا يحصل منه إلا في قليل من المواضع بينما غيره من علماء توجيه القراءات يخرجون من السبعة إلى العشرة وإلى الشاذ منها ويعزو كل قراءة إلى صاحبها ويناقشها ويعلق عليها ويزيد فيها ويبسط ويثقل المتن ومثال ذلك كثير في كتاب الحجة لابن خالويه نذكر مثالا واحدا اختصارا وذلك عند قوله تعالى: ﴿لَا أُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّيَ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ [النمل: 21] " يقرأ بإظهار النونين وبالإدغام فالحجة لمن أظهر أنه أتى باللفظ على الأصل لأن الأولى نون التأكيد مشددة والثانية مع الياء اسم المفعول به والحجة لمن أدغم أنه استثقل الجمع بين ثلاثة نونات متواليات فحذف بالإدغام وحذف إحداهن لأن ذلك لا يحل بلفظ ولا يحيل معنى"¹⁴.
اختلف القراء السبعة في "أَوْ لِيَأْتِيَنَّيَ" فقرأ ابن كثير بنونين، الأولى مُشَدَّدَةٌ، والثانية مَكْسُورَةٌ مُخَفَّفَةٌ، وقد رسمت بنونين في مصاحف أهل مكة، وقرأ الباقون بنون واحدة مَكْسُورَةٌ مُشَدَّدَةٌ، وكذلك رسمها في مصاحفهم"¹⁵.

4- تجنب تكرار توجيه المسائل.

تميز منهج ابن خالويه في توجيه القراءات القرآنية والخلاف فيها أنه يذكر علل المسألة عند أول ورود لها ثم لا يكرر التوجيه في باقي المواضع التي تندرج تحتها بل يكتفي بالعزو إلى موضعها في أول ذكر لها في كتاب الحجة ويقتصر على الشرح المتقدم إلا إذا طال الزمن بها، أو رأى في الموضوع الثاني فائدة تجدر الإشارة إليها، فعند ذلك يعيد ماتقدم ويزيد عليه الفائدة التي يريد التنويه إليها ومثال ذلك كثير نذكر منها عند قوله تعالى: "ووصى بها ابراهيم" [البقرة 132] يقرأ بالتشديد من غير ألف وبالتخفيف واثبات الألف وقد تقدم القول في ذلك وأوضحنا الفرق بين فعل وأفعل"¹⁶ في إشارة إلى موضع سبق ذكره وهو قوله تعالى: "فَأَمْتَعُهُ قَلِيلًا"، يقرأ بتشديد التاء، وتخفيفها". فالحجة لمن شدد: تكرير الفعل ومداومته. ودليله قوله: "وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ" [يونس: 98]، والحجة لمن خفف: أن تكرير الفعل لا يكون معه (قليلا)، فلما جاء معه ب(قليل) كان (أمتع) أولى به من (متع). على أن أفعل وفعل يأتيان في الكلام بمعنى واحد، كقولك: أكرمت وكرمت. ويأتيان والمعنى مختلف، كقولك: أفرطت: تقدمت وتجاوزت الحد. وفرطت: قصرت"¹⁷، فابن خالويه هنا قد رد الأول على الثاني لأن القصد الاختصار ويعني التعليل المتقدم عن المتأخر.

5- استعمال وسائل التعليل اللغوي المشهورة.

ونعني بوسائل التعليل اللغوي القرآن الكريم والسنة النبوية وأشعار العرب ومثل لكل نوع بمثال واحد.

أولا القرآن الكريم: إذ هو أول ما يرجع إليه اللغويين في تعليل المسائل اللغوية والإستدلال على صحتها وابن خالويه كغيره من علماء اللغة كان يلجأ في تعليل القراءات إلى القرآن الكريم كلما وجد لذلك سبيلا والأمثلة كثيرة نذكر منها عند قوله تعالى: "مُدْخَلًا كَرِيمًا" يقرأ بضم الميم وفتحها، وكذلك ما شاكلة. فالحجة لمن ضم: أنه جعله مصدرا من أدخل يدخل. ودليله قوله تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ. والحجة لمن فتح: أنه جعله مصدرا من دخل يدخل¹⁸ وقد تكرر هذا الشكل من التعليل عند ابن خالويه كثيرا كما أشرنا إلى بعض مواضعه في الهامش.

ثانيا الأحاديث النبوية: تعتبر الأحاديث النبوية من وسائل الإستدلال اللغوي على اختلاف بين علماء اللغة على جواز الإستدلال بها على المسائل اللغوية وابن خالويه قد استدل بالحديث النبوي غير مرة في بيانه لصحة وجه القراءة نذكر منها عند قوله تعالى: "لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ" [البقرة: 119] يقرأ بالرفع والجزم. فالحجة لمن رفع: أنه أخبر بذلك وجعل «لا» نافية بمعنى ليس، ودليله قراءة (عبد الله) و (أي:): (ولن تسأل)، والحجة لمن جزم: أنه جعله نهيًا. ودليله: ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: «ليت شعري ما فعل أبوي»¹⁹ ؟ فأنزل الله تعالى: «وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» فإننا لا نؤاخذك بهم، والزم دينك. فأما من ضمّ التاء فإنه جعله فعل، ما لم يسم فاعله. ومن فتحها جعلها فعل فاعل.

ثالثا الشعر العربي: الشعر ديوان العرب وقلعة العربية لا بد حتما من الرجوع إليه لتعليل المسائل اللغوية وبيان جوازها في عرف العرب أو لبيان فصاحة الكلمات أو جواز النطق بها على وجه معين أو لترجيح وجه من وجوه الإعراب أو القراءات، وقد اعتمد عليه ابن خالويه كثيرا لتعليل أوجه القراءات القرآنية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر. قوله تعالى: "إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ" [الأعراف: 201]، يقرأ بإثبات الألف وحذفها. فالحجة لمن أثبتها: أنه جعله اسم الفاعل من: طاف الخيال: إذا طرق النائم. وهما لغتان طاف طوفا وأطاف مطافا. ومعنى طائف الشيطان: وساوسه ولمه وختله. قال الشاعر:

وتضحى على غبّ السرى وكأتما ... أطاف بها من طائف الجنّ أولق²⁰
والحجة لمن حذفها: أنه أراد به: ردّه إلى الأصل. وأصله: طويف، فلما تقدّمت الواو بالسكون قلبت ياء، وأدغمت في الياء، فثقل عليهم تشديد الياء مع كسرهما، فحففوه، بأن طرحوا إحدى الياءين، وأسكنوا كما قالوا: هين لين. قال حسان بن ثابت.

جنّية أرقني طيفها ... يذهب صباحا وترى في المنام²¹

6- التعليل الصوتي للقراءات.

من أدوات التوجيه اللغوي للقراءات هو التعليل الصوتي وذلك ببيان الخصائص الصوتية لبعض الحروف الهجائية التي يقتضي تجاورها أحد وجهين أو أكثر من أوجه اختلاف القراء في النطق بلفظ الآية محل الخلاف

فبين علماء توجيه القراءات سبب الخلاف بين القراء بالاعتماد على هذه الخصائص، ومن المسائل الصوتية التي جاءت في كتاب الحجة.

- الفك والإدغام: ومثاله قوله تعالى: ﴿ك ك ك ك﴾ [الأنفال: 42] حيث قال: "يقراً بيايين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة وبياء واحدة شديدة مفتوحة فالحجة لمن قرأه بيايين أنه أتى به على الأصل وما أوجبه بناء الفعل والحجة لمن أدغم أنه استثقل اجتماع ياءين متحركتين فأسكن الأولى وأدغمها في الثانية"⁽²²⁾ ففي الآية الكريمة استعمل ابن خالويه أشهر قواعد العرب في كلامها وهي "الهروب من الثقل" والقاعدة الأخرى هي إدغام المتماثلين في كلمة واحدة فعلى ابن خالويه بهذا التعليل الصوتي اختلاف القراء في الآية وقد تكررت هذه التعليلات الصوتية في توجيه القراءات التي فيها الفك والإدغام.

- الإمالة: فمثالها -قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تُّجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16] قال ابن خالويه (□) "يقراً بالإمالة والتفخيم وبينهما وكذلك ما ضارعه من ذوات الياء اسما كان أو فعلا، فمن فخم فالحجة له أنه أتى بالكلام على أصل ما وضع له والحجة لمن أمال أنه قرب الحرف المستعلى من الياء ليعمل لسانه بالنطق من موضع واحد والحجة لمن قرأ بين بين أنه ساوى بين اللفظين، فأما حمزة فأمال ذوات الياء وفخم ذوات الواو ليفرق بين المعنيين"⁽²³⁾ ففي هذا المثال وجه ابن خالويه الاختلاف بقاعدة لغوية أيضا وهي "تقليل الجهد الصوتي" بتقريب الأصوات المتباعدة بصوت وسط بينهما وهي الإمالة، الهمز والتخفيف، المد والقصر، الروم والإشمام، كل هذه المسائل تناولها بالتوجيه ابن خالويه في كتاب الحجة وعلل أسباب اختلاف القراء فيها باختصار دون تطويل وبالإقتصار على أهم الأقوال وأقوى القواعد الصوتية.

7- التعليل الصرفي.

في أحيان كثيرة كان ابن خالويه يوجه الاختلاف في الآية بالإعتماد على ما تقرر في أذهان الناس من القواعد الصرفية إذ تتبادل بعض الصيغ الصرفية مع بعض فيحدث بسبب هذا التبادل الإختلاف سواء على مستوى الأسماء أم على مستوى الأفعال فمثال ماجاء في كتاب الحجة.

- باب الأسماء: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: 56] في لفظ "حاذرون" قراءتان الأولى بإثبات الألف والأخرى بحذفه فقرأ من السبعة بغير الألف نافع وابن كثير وأبو عمرو وقرأ الباكون بالألف⁽²⁴⁾ وقد ذكر ابن خالويه علل كل قراءة بقوله: "الحجة لمن أثبت الألف أنه أتى به على أصل ما أوجبه القياس في اسم الفاعل كقوله عَلِمَ فهو عَلِمَ وأما حجة من حذف الألف أنه قد جاء

باسم الفاعل على "فعل" كقولك حَذِرَ وَنَجِرَ وَعَجِلَ⁽²⁵⁾، فقد علل ابن خالويه الاختلاف في القراءة بإمكان التبادل بين صيغتي "فاعل" و "فعل" وهو توجيه صرفي للقراءة، وقد تكرر تعليل ابن خالويه للقراءات وتوجيهها بالقواعد الصرفية المعروفة في أكثر من موضع²⁶.

- باب الأفعال: فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 176] فذكر ابن خالويه علّة كل فريق بقوله: "يقراً بفتح الياء وضم الزاي وهي قراءة السبعة إلا نافعاً"⁽²⁷⁾ وبضم الياء وكسر الزاي فالحجة لمن فتح أنه أخذه من حَزَنَ يَحْزُنُ حُزْنًا والحجة لمن ضم الياء أنه أخذه من أحزن يُحْزِنُ حُزْنًا"⁽²⁸⁾، فقد بين ابن خالويه أن توجيه القراءة يكون بإمكان التبادل بين صيغتي فعل وأفعل وهي قاعدة صرفية معروفة عند علماء اللغة.

8-التعليل النحوي.

من مناهج اللغويين أيضا في توجيه القراءات التوجيه باستعمال القواعد النحوية إذ يذكر علماء التوجيه الآيات محل الخلاف ثم يبينون وجه الاستدلال وذلك بشرح القاعدة النحوية وبيان إمكان الوجه المقصود من جهة كلام العرب، ومثال ذلك في كتاب الحجة قوله تعالى: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7] حيث اختلفوا في لفظ "غشاوة" بين قراءته بالنصب على العطف، وبالرفع على الاستئناف، حيث قرأ كل السبعة بالرفع، إلا عاصما في رواية قرأ لفظ "غشاوة" بالنصب⁽²⁹⁾، ووجه الرفع والنصب لهما دليل في العربية والقرآن قد ذكرهما ابن خالويه باختصار بقوله: "غشاوة ولهم" يقرأ بالرفع والنصب فالحجة لمن رفع أنه استأنف الكلام مبتدئا به ونوى به التقديم وبالخير التأخير، فكأنه قال: "وغشاوة على أبصارهم"⁽³⁰⁾ نجد أن ابن خالويه استعمل في توجيه هذه الآية القاعدة النحوية التي تقضي بجواز تقديم الخبر على المبتدأ في الكلام إذا كان شبه جملة فمن خلال هذه القاعدة بين ابن خالويه جواز الرفع على هذا التقدير

9-الإحتجاج بلغات العرب.

حين يتعسر توجيه الآية صوتيا أو صرفيا أو نحويا يتعين على علماء اللغة البحث في كلام العرب عن تعليل لسبب الاختلاف ومما قد يعلل هذا الإختلاف وجود لغتين في لفظ الآية وهي قاعدة في توجيه القراءات عند علماء اللغة ومثال هذه المسألة عند ابن خالويه قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطُّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{٢٥٦} [البقرة: 265] حيث قرئ لفظ "بروّة"، بوجهين بفتح الراء وضمها قال ابن خالويه هما لغتان⁽³¹⁾ بفتح الراء على لغة تميم⁽³²⁾ ومن ذلك أيضا قراءة لفظ "ميسرة" بضم السين وفتحها من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 280] وهما لغتان⁽³³⁾، والضم لغة أهل الحجاز، والفتح لغة تميم وقيس وأهل نجد⁽³⁴⁾

الخاتمة.

توجيه القراءات قائم على إثبات حقيقة أن القراءة صحيحة وذلك من خلال مناقشة وبيان صحة أحد أركانها الأساسية ألا وهو ركن موافقة اللغة العربية ولو احتمالاً لأنه في عرف القراء القراءة الصحيحة هي القراءة التي تتحقق فيها الأركان الثلاثة الركن الأول صحة السند والركن الثاني موافقة رسم المصحف العثماني وأما الركن الثالث فهو موافقة اللغة العربية ولو احتمالاً وهذا الركن الأخير عليه مدار توجيه القراءات ككل فتوجه الآيات المختلف فيها بمختلف القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والتي تثبت صحة القراءة وفصاحتها وقد كان منهج ابن خالويه قائماً على هذا الأمر ويمكن إجماله في النقاط التالية

- 1- الاهتمام بالقراءات السبع المشهورة فقط.
- 2- الإيجاز والاختصار قدر الإمكان (حذف أسانيد القراءات، عدم تكرار الاحتجاج لنفس المسألة، عدم شرح الكلمات وتجنب التفسير إلا للضرورة).
- 3- الاعتماد في اللغة على السماع دون القياس.
- 4- الحديث الشريف صالح للاستدلال اللغوي.
- 5- اتباع الحجة والدليل من دون التعصب لأي مدرسة نحوية.
- 6- قد يكرر الاستدلال إذا تباعد الاستدلال الأول أو لأجل إضافة جديدة.
- 7- الاستدلال بالشعر والنثر.
- 8- التعليل بواسطة القواعد النحوية والصرفية.
- 9- يستدل لتعليل القراءة بالقرآن.
- 10- القصد إلى العلة مباشرة من دون تفصيل أو استطراد.
- 11- ذكر أقوى العلل وأشهرها والاعتماد عليها.

قائمة الهوامش:

- (1) غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن الجزري، ج1، ص215. -الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م، ج2، ص231. -لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م، ج3، ص140. -تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج8، ص322.

- (2) غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن الجزري، ج1، ص215.
- (3) لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، ج3، ص140.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج8، ص321-غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن الجزري، ج1، ص215-.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ج1، ص529-530.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج2، ص179-.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث -بيروت، 1420هـ-2000م، ج12، ص200-لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، ج3، ص140.
- (4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج8، ص321.
- (5) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق القاهرة، مصر، ط3، 1979م، ص62.
- (6) معاني القراءات، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق مصطفى درويش، عوض بن محمد، دار المعارف، ط1، 1412هـ-1991م.
- (7) الحججة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي، تحقيق بدر الدين فهوجي -بشير جويجاوي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط1، 1404 هـ -1984م.
- (8) حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 1418هـ-1997م.
- (9) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، مكى ابن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1974م.
- (10) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمن الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت.ط).
- (11) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص62.
- (12) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص62.
- (13) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص62.
- (14) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص270.
- (15) النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، ج2، ص337.
- (16) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص87-88.
- (17) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص89، أنظر أيضا 105-115-120-124-128 وغيرها.
- (18) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص122، أنظر أيضا 83-84-92-111-130-138 وغيرها.
- (19) سنن أبي داود، ج9، ص97.
- (20) لسان العرب، ابن منظور، مادة: ولق، أنظر، الخصائص، ابن جنى، ج3، ص292.
- (21) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج1، ص2-4-5-6.
- (22) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص171، -77-84-125-372.....
- (23) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص71.
- (24) السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص471-تجويد التيسير في القراءات العشر، محمد بن الجزري، ص487.
- (25) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص267.
- (26) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص267-328-361.....
- (27) السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص219-النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، ج2، ص244.
- (28) الحججة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص116.
- (29) السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص141.

-
- (30) جاء في إعراب القراءات السبع وعللها وكذا في الحجة بهذا اللفظ، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص67، إعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص62، ولكنه خارج الحجة جاء على هذا الوجه: "يا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفنا ورحما" والبيت لعبد الله بن الزبير أنظر: شعر عبد الله بن الزبير، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981م، ص32.
- (31) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص102.
- (32) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، ج15، ص196.
- (33) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص103.
- (34) كتاب فيه لغات القرآن، الفراء، ضبطه وصححه جابر بن عبد الله السريع، 1435هـ، ص41.